المختارين

(أفسس ١:٣ و ٤)

تأليف: جو شوبيرت

في الأعوام الماضية ماتت امرأة من ساحل پالم الغربي بولاية فلوريدا الأمريكية وكانت تبلغ من العمر ٧١ سنة. وجاء في تقرير أسباب الوفاة بانها كانت تعاني من سؤ التغذية. وكانت تزن حوالي ٢٢ كيلو غراماً فقط عند وفاتها.

يبدو انها عاشت حياة قاسية. وجدت السلطات بيتها قذراً إلى حد لا يمكن وصفه. وأبلغ الجيران بانها كانت تأتي بصورة متكررة إلى بيوتهم لتلتمس الطعام. وكانت ملابسها من أحدى المؤسسات الخيرية. ويبدو ان المرأة الفقيرة قد وصلت إلى نهاية رحلتها القاسية.

وعندما قامت الشرطة بالبحث في بيتها القذر، وجدوا مفتاحين من مفاتيح صناديق الودائع في البنوك، قادهم المفتاحان إلى صندوقي ودائع في اثنين من البنوك المحلية. عندما فتحت السلطات أحد الصندوقين، وجدوا مخزونات وسندات مالية إلى جانب ٢٠٠،٠٠٠ دولار نقداً. وكان في الصندوق الثاني سندات تقدر قيمتها بـ ٦٠٠،٠٠٠ دولار نقداً. كانت المرأة تستعطي الطعام وترتدي ملابس مستعملة، وماتت من سؤ التغذية، رغم ان ممتلكاتها كانت تقدر بأكثر من مليون دولار!

كتب بولس الرسالة إلى أهل أفسس للمسيحيين الذين كانوا يميليون إلى العمل بمواردهم الروحية الهائلة كما فعلت المرأة التي من فلوريدا بمواردها المادية – واخفاقها في استخدامها كما يجب. يمكن للمسيحيين اليوم ان يفعلوا الخطأ نفسه. لدينا مقتنيات هائلة في المسيح، ولا ينبغي لأي مسيحي على الاطلاق ان يصاب بسؤ التغذية الروحية أو يصاب بالهزال. نريد ان نستخدم بطريقة جيدة ما أعطانا الله.

الرسالة إلى أهل أفسس تؤكد عدم محدودية احتياط الله السماوي. تعلن الرسالة انه لا يجب على المسيحيين أن يكونوا مجردين روحياً. كأبناء الله، تتوفر لدينا المصادر التي قد تجعلناء أغنياء في الله بطريقة لا تصدق. وصفها بولس كـ « غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة » (أفسس ١:٧ و ٨).

أفسس ١:٣-١٤ يضع أسلوب للمسيحيين ليقوموا بمسح وتقييم غنى الله. في النسخة اليونانية الأصلية للكتاب المقدس، تشكل الآيات من ٣ إلى ١٤ جملة واحدة طويلة. تعادل تفوق تسبيح النصر لله، يطوق بالماضي (الآيات ٣-٦)، والحاضر (الآيات ٦-١١)، والمستقبل (الآيات ١٢-١٤).

لنركز على آيتين من نداء بولس الشجي للتسبيح:

> مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه... (١:٣ و ٤).

يبين النص حقيقة غير زمنية: يعطي الله كل بركة روحية ممكنة للذين هم في المسيح. ما الذي لديك في المسيح؟ لديك كل ما يمكن ان يعطيه الله.

يعطينا الله بركاته حسب رأيه

كلمات بولس هي نداء للمسيحي ليسبح الله: « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي

باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم،... » (آيتي ٣ و ٤). قبل أن تُخلق الأرض، كانت رغبة الله هي أن يشارك مع المسيحيين محبته وغناه الموجودة حرفياً في « السماويات. » طبيعة الله تجعله يعبر عن محبته نحو الآخرين ويشارك معهم غناه.

بِحُرِّيّة الخيار، عقد الله العزم ليخلق بنين وبناتٍ في صورته. ومنحهم القدرة ليتمتعوا بالوجود معه، ويحبونه ويشاركون معه الديار ويمجدوا اسمه. يساعدنا وصف و. فليب كيلر لنتصور عندما سمح الله للسماويات أن تعرف عن خطته:

> إلى حد ما نستطيع نحن البشر ان نتحقق، من المحتمل انه كان واحد من الأفكار الأكثر جراءة في مجلس الله. وقد نكون متأكدين جداً انه عندما أعلن عن الخطة، ساد جو من الاهتياج عبر امتداد الأزلية. لم يحلم أحد من الملائكة قط أو من الأرواح الأخرى الخادمة بمثل هذا المشروع المثير.
>
> كان الله قد عقد العزم لإعادة خلق صورته. سيجلب إلى الوجود و إلى البنوة آخرين مثله. قصد ان يملأ بيته السماوي بمخلوقات لها حرية الإرادة وعلى نمط شخصه وخلقه.
>
> سيكونوا وارثين وشركاء الوراثة مع المسيح ابنه، مؤهلين للتمتع بالأبدية في ابتهاج غامر.
>
> لابد ان الفكرة كانت شجية جداً لله الابن. الآن سيكون له إخوة وأخوات ليشاركوا معه أفراح الأبدية. لا يكون فيما بعد الابن الوحيد، انها كانت محاولة متحدية. ستكون عليه مسؤولية لينجزها إلى حد الكمال.

اختار الله بِحُرِيّة ان يجعلنا بنين وبنات. ما الذي علينا أن نفعل بفكرة ان الله اختارنا لنكون أبنائه في المسيح؟

قد نقبل ما هو أقل من ذلك. قد نقلل ونتجاهل الفكرة ان الله يريد منا ان نكون أبناءه. في الحقيقة، يفعل معظم الناس هذا. فعله الكاتب ك. س. لويس. لمدة سنين وصف لويس نفسه كوثني. لم يكن لأستاذ اللغة الإنجليزية مكاناً لله في حياته، ولكنه تغير في وقت لاحق في الحياة، وأصبح مؤمناً وكتب من وجهة نظر شخص كان قد قبل في الوقت الماضي شيئاً أقل بكثير مما يجب:

> اننا مخلوقات تعوزنا الحماسة، نقضي وقتنا في الشرب وممارسة الجنس والطموح بينما قدم لنا الفرح غير المحدود، كالطفل الجاهل يريد الاستمرار في اللعب بالطين في حيّ الفقراء لأنه لا يستطيع ان يتصور ما المقصود بقضاء العطلة في رحلة بحرية. اننا نفرح بسهولة أكثر مما ينبغي.

يطلب الله بنين وبنات الذين يستطيع ان يفتح لهم عقد السماء. لنا الخيار؛ يمكننا ان نقبل ما هو أقل. هكذا فعل كثيرون.

من جانب آخر، قد نقبل الأفضل عند الله. هدفه هو ان يتبنانا ويجعلنا أبناءه ووارثي غناه، ليجعل منا صورته وليشاركنا السماء إلى الأبد.

فكر لحظة، أين أنت من كل هذا؟ هل تقبل ما هو أقل؟ هل خيار الله بجعلك ابنه ويعطيك غنى السماء شيء يجعلك تتعجب؟ أترغب ان تسمح لهذا بالحدوث في حياتك؟

يعطينا الله البركات بطريقته الخاصة

قد أعطانا الله كل بركة روحية « في المسيح »، العبارة « في المسيح » أو ما تشابهها توجد أكثر من عشرين مرة في الرسالة إلى أهل أفسس. استخدمها بولس بوضوح في الآيات الأولى:

> المؤمنين في المسيح (آية ١).
> توجد كل بركة روحية في المسيح (آية ٣).
> نحن قديسين وبلا لوم في المسيح (آية ٤).
> منح النعمة مجاناً في المسيح (آية ٦).
> الفداء وغفران الخطايا يوجدان في المسيح (آية ٧).
> المختارين هم في المسيح (آية ٩).
> نحن مختومين بالروح القدس ضماناً لميرثنا في المسيح (آية ١٣).

هذه التأكيدات تشير إلى أهمية الكينونة في المسيح.

قد نُقدّر قيمة ان يكون الشخص في المسيح أكثر عندما نقارنه بشيء نعرفه. لنبدل العبارة «في الأسرة» بالعبارة «في المسيح.» عندما تنتمي إلى أسرة، بالميلاد أو بالزواج أو بالتبني، ماذا يعنيه ذلك؟

عندما تنتمي إلى «أسرة» يكون لك امتيازات معينة، عندما أدخل من باب بيتي، لا يسألني أحد «من الذي سمح لك بالدخول؟» زوجتي لا تتصرف وكأنني دخلت عنوة. ابني لا يحاول الهجوم عليَّ ودفعي خارج الباب. وابنتي لا تستنجد بالشرطة. كلهم يعلمون انني انتمي إلى هذا البيت لأنني من الأسرة. الإمتيازات والمسؤوليات والتوقعات كلها جزء من الانتماء إلى الأسرة.

ان تكون في المسيح يعني انك تابع له. قد تم توحدك معه. وأصبحت لديك كل الإمتيازات والمسؤوليات والتوقعات كونك في المسيح. هذا لا يرسل موجات الصدمة على امتداد السماء عندما أعطاك الله مكاناً في ملكوته، إذ ان هذا يأتي مع الكينونة في المسيح، لا يصاب الملائكة بالإغماء عندما يرسل الله روحه ليسكن فيك، هذا يأتي مع الكينونة في المسيح. لا يعترض أحد في ان الله يغفر كل خطاياك، ذلك يأتي مع الكينونة في المسيح.

بعد إنتهاء حياتك على الأرض، لا يستغرب مخلوق سماوي كونه لديك مكاناً في بيت الله الأبدي. ذلك يأتي مع الكينونة في المسيح. في المسيح تأتي لتملك غفران الخطايا والتبني كابن الله وعطية الروح القدس ورجاء الحياة الأبدية والقداسة والبر والصلاح والمجد والقوة والثبات والسلام وكل ما تبقى من غنى الله. هذه الإمتيازات تبدو عجيبة جداً! أليس كذلك؟ كل ما يملكه الإنسان في المسيح يفوق الوصف!

إن كنت أملك كل هذا في المسيح، فلماذا أتشبث بالذنب احياناً؟ لماذا لا أشعر بالقداسة والبر والصلاح؟ لماذا أشعر بالضعف في بعض النقاط؟ لماذا لا أزال أرتكب الخطيئة؟ تقول الأسفار المقدسة انني ابن الله، ولكن بالتأكيد لا أتمثل بذلك في كل وقت. عادة ما أضع «الذات» أولاً. خيبتُ آمالي وآمال الآخرين.

شاركتُ مؤخراً مع بضع رجال من جمعية دراسة الكتاب المقدس. قد عبرنا كلنا بهذه الأسئلة والهموم عن أنفسنا. قادت مناقشاتنا إلى استنتاج ان كثير جداً من المسيحيين يعانون من هذه الافكار: «لا بد انه يوجد بي شيء غير صحيح. فإني أرى المسيحية تعمل بصورة جيدة مع الآخرين، ولكن لا يبدو انه هناك تطور في مسيرة حياتي مع الرب.»

يتسائل الكثير من المسيحيين أنفسهم بأسئلة مثل تلك، بما فيهم الشيوخ والآباء والأمهات، والذين هم مسيحيين لمدة سنوات، هناك اقتراحان يساعدان عندما أبدأ أفكر بهذا:

أرجع إلى الأساسيات. لا بد أن اعيد تأكيد هويتي: اني ابناً لله، وقد جعلني الله ابنه بواسطة يسوع، ذلك ما يريده مني ان أكون. ومن ثم، عليّ ان أعيد التأكيد بانني «في المسيح.» غلاطية ٢٦:٣ و ٢٧ تقول: «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» ذلك مهم. ان كنتُ قد عملتُ بناءً على الإيمان في المسيح وتم اعتمادي في المسيح، إذن أنا في المسيح. وفي المسيح، لي كل بركة روحية!

استخدم الأساسيات. عندما أصاب باحباط، يمكنني ان استنتج بان الاحباط كان نتيجة أهمال الأساسيات. مثل المرأة «الفقيرة» في فلوريدا، لم أُستخدم ممتلكاتي. وذلك يقودني إلى الجوع الروحي. الأساسيات بما فيها (١) كلمة الله – دراستها وحفظها والتأمل فيها؛ (٢) الصلاة – لتكون لي علاقة دائمة مع الله؛ (٣) الخدمة – أشارك بصفة شخصية في عمل الملكوت؛ (٤) الشركة – أشارك الحياة مع الرفقاء المسيحيين.

نعم، يجب على كل منا ان نذكر أنفسنا من وقت إلى آخر من نحن. عندما يتثبط عزيمتنا يمكننا ان نستخدم أفسس ٣:١-١٤ لنؤكد لأنفسنا من نحن حقاً. هل تفعل ذلك الآن، من

فضلك؟ أعيد إلى ذاكرتك من أنت. كلم نفسك: «أنا مختار من قبل الله. أنا قديس وبلا لوم قدامه؛ ومسامح. اني مفتدي بدم الميسح. وقد مُنحتُ الروح القدس، ومنحت عربون ميراث أبدَي، لأنني في المسيح!»

الخلاصة

كانت هتي غرين تُلقب البخيلة الأكثر شهرة في أمريكا. عندما ماتت في سنة ١٩١٦، خلفت ما قيمته ١٠٠ مليون دولاراً؛ ومع ذلك لم تستخدم هتي ثروتها. كانت تجبر نفسها على تناول دقيق الشوفان في الأفطار لكي توفر لنفسها نفقات وقود تسخين الماء. وعندما أصيب ابنها بجرح خطير في رجله، أجلت هتي العلاج حتى تجد عيادة مجانية. وكانت النتيجة ان الولد فقد رجله. عاشت هتي حياة الحماقة منعها بخلها من استخدام ممتلكاتها للخير وللمنفعة (مقتبس من معلقة جون ماكارثر للعهد الجيد).

ما أقبح ان يؤخذ ما وفره الله في المسيح ويقلب رأساً على عقب أو تخفق في استخدامه! يريد الله أن يعطيك كل بركة روحية. أرجو أن لا ترفض ما أعطاه الله.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧